مجلة جدارا للدراسات والبحوث

التقليد في الأدب الأندلسي «مظاهره ودلالاته».

إعداد الدكتور: يوسف محمد توتو محمد علي

كلية الآداب، جامعة السلام – السودان. قسم اللغة العربيّة – أستاذ مشارك

هواتف: 00249912151786 - 00249121272880 بريد إلكتروني: yousiftoto456@gmail.com

مستخلص الدراسة

التقليد في الأدب الأندلسي «مظاهره ودلالاته»

هدفت الدراسة إلى الوقوف على التقليد في الأدب الأندلسي من حيث مظاهره ودلالاته، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وقد توصلت إلى عدة نتائج منها: تجلت مظاهر التقليد في الأدب الأندلسي على مستوى الشعر والنثر والتأليف، اهتمام علماء الأندلس بالتراث المشرقي شرحاً وتأليفاً وترجمةً لأعلامه، ارتبط التقليد في الشعر الأندلسي لدى شعرائهم ومجتمعهم بأسباب فنية ونفسية واجتماعية، إنّ الكتّاب الأندلسيين ضمّنوا رسائلهم الأدبية نصوصاً من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والقصص القرآني والأمثال على نسق المشارقة في رسائلهم، حذو مؤلفاتهم على نمط مؤلفات المشارقة من أسماء المؤلفات وطبيعة المادة العلمية التي تناولتها، إنّ الحكّام العرب في الأندلس أرادوا أنْ يجعلوا منها امتداداً للدولة العربية في المشرق من حيث الحضارة والفنون والعلوم والآداب، توصي الدراسة بتناول مظاهر ودلالات التجديد في الأدب الأندلسي.

الكلمات المفتاحية: التقليد الأدب الأندلسي مظاهر دلالات

Abstract

The study aimed to identify on the imitation in the Andalusian Literature for its denotations and characteristics.The study followed the descriptive analytical method, and it yielded different results as the imitation characteristics becameclear in the Andalusian Literature on the level of poetry, prose and authorship.Andalusian scholars have cared for oriental heritage explainingauthoring and translating of its scholars. Mimic related to poets of Andalusian poetry and their community with technical, psychological and social reasons. The Andalusian writers have conveyed in their literary writings some of Quranic texts,Hohour prophetic Hadith and the Quranic stories as Orientals in their writings; they equalized their writings with oriental mode of names of writings, the nature of scientific subject, which have tackled. Arab rulers in Andalusia wanted to make an extension to Arabic countries in the orient since culture, arts science and literature, the study recommended that tackling the features and denotations of modernization of Andalusian Literature.

تاريخ الإستلام: 8 /3 / 2021 تاريخ القبول: 28 /4 / 2021

المقدمة

الحمدللّٰه الذي بدأ إنزال الوحي بأمر القراءة، وربط القراءة باسم الخالق جلّ شأنه تعظيماً لها إذْ قال: «اقرأ باسم ربك الذي خلق»، وصلّى اللّٰه على سيدنا محمد بن عبداللّٰه الذي أوتي جوامع الكلم، وعلى أصحابه الأخيار وبعد:

جاءت هذه الدراسة بعنوان: التقليد في الأدب الأندلسي «مظاهره ودلالاته « ومن المعروف أنّ الأدب الأندلسي أدب عربي النشأة والمضمون أوروبي الطبيعة.

هدف الدراسة: تهدف الدراسة إلى الآتي:

1. بيان مظاهر ودلالات التقليد في الأدب الأندلسي.
2. التعريف بطبيعة تلك المظاهر ومدى أثرها على الشعر الأندلسي.
3. تناول الأدب الأندلسي من منظور تقييمي للتعرُّف على مظاهر ودلالات التقليد فيه.

أهميّة الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في تناولها مظاهر ودلالات التقليد في الأدب الأندلسي شعره ونثره ومؤلفاته، وذلك بتحقيق أهداف الدراسة المذكورة.

أسباب اختيار الموضوع:

تتمثّل أسباب اختيار موضوع الدراسة في الآتي:

1. الرغبة في رفد الدراسات الأدبية والنقدية القديمة بمزيد من الإسهامات والإضافات العلمية.
2. التعرف على مظاهر التقليد في الأدب الأندلسي.
3. بيان دور تلك المظاهر على مسيرة الأدب الأندلسي شعره ونثره ومؤلفاته.

منهج الدراسة: بناءً على طبيعة المادة العلمية التي عالجتها الدراسة فقد اُتبِع في الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة: لا توجد حسب علم الدارس أنّ هناك دراسات سابقة للموضوع إلّا ما جاء في متن المؤلفات الأدبية والنقديّة التي تناولت الأدب الأندلسي بصورة مجملة.

مشكلة الدراسة: عالجت الدراسة طبيعة مظاهر ودلالات التقليد في الأدب الأندلسي.

هيكل الدراسة: اقتضت طبيعة البحث أنْ يأتي على ثلاثة مباحث سبقتها مقدِّمة، وتلتها خاتمة حوت النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدِّراسة بجانب تضمين قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث.

الأندلس:

تعرف الأندلس بالجزيرة الإيبيرية كما سماها العرب حين دخلوها، وهذه التسمية «الإيبرية» نسبة إلى أمة قديمة يُقال لها «الايبير» عمرت تلك البلاد ولم يُعرف قبلها هناك أمّة، وجميع الذين أوطنوا هذه الجزيرة إنّما جاءوا بعد أمة الإيبير هذه (شكيب أرسلان: 31).

أمّا اسم الأندلس فقد أطلقه العرب الفاتحون على تلك البلاد، وكلمة «أندلس» يرجح أنّها مشتقة من اسم «الفاندالس» وهم جيل من النّاس كانوا يسكنون تلك البلاد من أصلٍ جرماني (شكيب أرسلان: 31)، فاشتهر اسم الأندلس الذي أطلقه العرب وتداوله جميع السكان هناك.

والأندلس كلمة أعجمية لم يستعملها العرب في القديم، وإنّما عرفتها في الإسلام (ياقوت: 1993م: 158)، وذكر القلقشندي أنّ سبب تسمية «الأندلس» منسوب إلى أمّة ملكت تلك البلاد قبل الطوفان (القلقشندي: 1927م: 5:28)، ومهما كانت أصالة الاسم واشتقاقاته فاشتهر بين النّاس وأرّخ له التاريخ والأدب بهذا المسمى «الأندلس».

وجغرافياً تقع الأندلس في الجزء الجنوبي الغربي من أوربا (المقري: 1995م: 67)، تحيط بها المياه من جوانبها الثلاثة البحر الأبيض المتوسط شرقاً، والمحيط الأطلسي شمالاً وغرباً، ثُم يلتقي البحر المتوسط والمحيط الأطلسي في الجنوب عند مضيق جبل طارق.

تشتمل هذه المساحة على سهول وجبال وأنهار وهِضاب، فهي خصبة الأرض، معتدلة المناخ، مختلفة الطبيعة من إقليم إلى آخر نسبة لسعة رقعتها وامتدادها، مما أكسبها غنى بالمناجم والمراعي والمرافئ البحرية نظراً لتعدد أجوائها وتباين مناخها.

أمّا مجتمعها فقد تشكّل من مجموعة أجناس بشرية و يُعدُّ الإيبريون من أقدم سكانها قبل الإسلام واختلط معهم السلتيون الذين نشأ عنهم الشعب المعروف بالسلتي الإيبيري وهو أصل الشعب الإسباني (Antonio.10 pp Ballesteros; de Papuan)، ثم وفد إليها الإغريق في القرن السابع قبل الميلاد وأقاموا في جهتها الشرقية وأنشأوا من مدنها برشلونة (Antonio Ballesteros; de.pp10 Papuan)، ثُمّ جاء من بعدهم الرومان والقوط فحكموها على فترات متباعدة وضَعُف نفوذهم حتّى دخلها المسلمون بقيادة طارق بن زيّاد في عهد الوليد بن عبد الملك في عام 92 هـ، فأقاموا دولتهم هناك التي تتابع عليها صنوفٌ من الحكم والحكّام تخللتها أحداث وثورات واستمر الحال هكذا

جميع الحقوق محفوظة © جامعة جدارا2020

حوالي ثمانية قرون من الزمان عُرفت في تاريخ الأدب العربي بالعصر الأندلسي الذي بدأ بعصر الولاة ثُمّ العصر الأُموي الذي أسّسه عبد الرحمن الداخل الذي انتهى عهده بعصر ملوك الطوائف فالمرابطين والموحدين وانتهت حقبتهم بمملكة غرناطة التي أسسها بنو الأحمر والتي انتهت سنة 898 هـ.

وبالتالي تشكّل المجتمع الأندلسي من عناصرَ شتّى كان فيه أهل البلاد الأصليين والوافدين من العرب والبربر والموالي المنسوبين إلى أقطارٍ شرقية مختلفة والمماليك المجلوبين من بلاد غربية (ابن القوطية: 1975م:20) فضلاً عن المسلمين المولدين من تزاوج العرب بالبربر أو تزاوج العرب بالإسبان، ذلك هو مجتمع الأندلس في تلك الحقبة من الزمان.

وظهرت الثقافة الأندلسية متأثرة بالعادات والتقاليد المختلفة التي كان يحملها العرب الوافدين من المشرق والبربر الذين جاءوا من شمال إفريقيا لأنّهم كانوا يشكلون الأغلبية في الجيش الإسلامي.

ومن ثم تشكل الأدب الأندلسي الذي يُعدّ تراثاً عربياً ضخماً يصلح أنْ يكون ميداناً للدرس الأدبي نظراً لغزارة نتاجه وفصاحة مفرداته، وجودة ما كُتِب في رسائله النثرية، فضلاً عن القيمة الأدبية والنقدية التي حوتها مؤلفاته، بالإضافة إلى تأثُر رجاله بالمشارقة علماً ونهجاً وأسلوباً وإعجاباً ومع ذلك تأثر بالأدب المشرقي لأنّه في حقيقته امتداد للأدب العربي، فقد عاش الأدب العربي في الأندلس نحو ثمانية قرون متأثراً ببيئتها الجغرافية وعاداتها الاجتماعية ونظمها السياسية، غير أنّه ظلّ محتفظاً بهويته الأدبية من ناحية نسجه ولغته وآثار رجاله المشارقة.

المبحث الأول

الشِّعر

ظهر الشعر العربي في الأندلس في الوقت الذي وصل فيه العرب إليها، واتسم بقلته في بداية أمره نسبة لقلة الشعراء الوافدين إلى الأندلس والاضطراب الأمني، وبعد استتباب الأمن واستقرار الحكم تضاعفت الهجرات من المشرق إلى الأندلس، فقد وفد إليها الشعراء والعلماء حاملين معهم أمهات الكتب والدواوين الشعرية التي ظلت تمثل الأساس للشعر الأندلسي، بجانب وجود شعراء من جنود الجيش الإسلامي الفاتح للأندلس، وتطالعنا المصادر بأسماء شعراء كُثُر وفدوا إلى الأندلس بنتاجهم الشعري مما أسهم في وضع اللبنة الأولى للشعر العربي في الأندلس.

والتقليد من أهمّ السمات الفنية التي رافقت الشعر الأندلسي في بداياته، وظلّ الشعر المقلّد هو الأساس الذي قامت عليه الفنون الشعرية عند الأندلسيين، وذلك لوفرة نماذجه وكثرة شعرائه وتعدد أغراضه الفنية، فضلاً عن كونه سجلاً صادقاً لحركة الحياة الأدبية الأندلسية الموروثة من المشرق.

ويلاحظ أنّ شعر المقلِّدين في جملته يصف الحياة الأندلسية بجميع مناحيها في الأغراض التقليدية مع احتواء قصائده لأكثر من غرض نستشف من خلالها بيتاً أو بيتين شاهداً على التقليد، وهو كما قال حسن أحمد النوش: «كان يوافق أذواق النّاس وظروفهم في هذا العهد منذ العام 92هـ – 138هـ الذي لم ينعكس فيه شي من آثار الأندلس وبيئتهم الجديدة، حيث ما يزالون على صِلة بحياتهم الأولى مستمدين الكثير من عالم الأسلاف (حسن النوش: 1992م: 457)».

إنّ طبيعة الأدب الأندلسي عموماً أتت في كونه صورة حيّة وصدى لطبيعة الأحداث التي مرت بها الأندلس في تلك الفترة، والشعر الأندلسي أصدق من عبَّر عن تلك الحياة بجميع معطياتها، وفي رسالة ابن حزم إشارات قاطعة على أنّ جيل الرواد من شعراء الأندلس جاءوا إليها من المشرق فاقتدى بهم شعراء الأندلس في طرائق نظمهم وحفظوا أشعارهم وتلقبوا بألقابهم مما أدى إلى خضوع الشعر الأندلسي في عهده الأول إلى تقليد الشعر المشرقي (عناني: 1999م: 61)، والمتتبِّع للشعر الأندلسي يلاحظ عليه ظاهرتين مهمتين هما:

أولاً: كثرة الشعر في البيئة الأندلسية، وذلك أن الشعر العربي في تلك البيئة ظلّ منتشراً عند فئة الشعراء وغيرهم من فئآت المجتمع الأخرى من الفقهاء واللغويين والنحاة والأطباء والرياضيين والمتفلسفة والمرأة التي كان ظهورها في الشعر لافتاً لدرجة أنّ أصحاب التراجم اهتمت بالترجمة لهن، وحتّى العامّة وأهل الريف، وذلك يدل على كثرة الشعر وازدهاره على كل لسان من أهل الأندلس (شوقي ضيف:1989م: 144) مما يفسِّر تقبِّل المجتمع له.

ثانياً: تصنيف فنونه عندهم إلى مجموعاتٍ ثلاث، وهي:

1. فنون تقليدية: سبقهم إليها المشارقة، وهي لم تكن من اختراع الأندلسيين، بل أتتهم وافدة، ولم يسعوا بتجديدها لمقتضيات زمانية ومكانية جعلت نتاجهم الشعري أن يظل على هذه الفنون التقليدية الوافدة من المشرق العربي من حيث الغرض واللغة والأسلوب والألفاظ والمعاني والأوزان العروضية، وهذه الفنون تشمل: الغزل، المدح، الرِّثاء، الحكمة، الزّهد، الوصف، الهجاء، والمجون، وهذه الفنون

جميع الحقوق محفوظة © جامعة جدارا2020

أعجب بها المجتمع الأندلسي وارتضاها فجرت في طبعه ومزاجه وشجّع إليها الحكام العرب، وهو مجال بحثنا.

2. فنون تقليدية سبقهم إليها المشارقة ولكنهم توسعوا فيها لتوفر ظروف ذلك التوسع دون إحداث تطوير يذكر، وهذه الفنون تشمل: شعر وصف الطبيعة، ورثاء المدن، والحنين، والشعر التعليمي غير أنّهم استعانوا فيها بالألفاظ والمعاني وظلت عندهم فكرة الوصف والحنين والرِّثاء لم تتغيَّر.

3. فنون مستحدثة لم يُسْبَقُوا إليها أملتها عليهم ظروف التطور التي وصلت إليها حياتهم مما أدى إلى استقلال ثقافتهم في نتاجهم الشعري، وهذه الفنون شملت الموشحات والأزجال وهي أندلسية المولد والنشأة وذلك بعد استقلال جيلهم عن التقليد.

والشعرُ الأندلسي على كثرته وتنوّع بيئته لم تظهر فيه شخصية الأندلس إلّا قليلاً، بل ظلّ شعراً تقليدياً للمشارقة في جملته من حيث فنونه وأساليبه وألفاظه وحتّى ألقاب شعرائه فطغت عليه آثار شعراء المشرق مما أضعف شخصيته الفنية، وذلك لأنّ الفكرة الأساسية لدى من يريد كتابة الشعر في الأندلس أنْ يأتي شعره على نمط المشارقة ومعنى ذلك أنّ الشاعر الأندلسي لم يخضع الشعر العربي لشخصيته، بل يخضع له هو فيصيغ موضوعاته ويُخضِع معانيه وأفكاره وأخيلته وأساليبه على نمط المشارقة (شوقي ضيف:1960م: 416).

أمّا مظاهر التقليد في الشعر الأندلسي فتجلت في الآتي:

أ. المحاكاة في الأغراض الشعرية:

والوصف عند الأندلسيين أوّل ما يطالعنا من فنون الشِّعر التي قلّدوا فيها المشارقة، وقد ساعد على ذلك طبيعة الأندلس الخلّابة وحُسن مناظرها، وقد تركوا لنا في هذا الفن مادة ضخمة وصفوا من خلال لها الحدائق بورودها وزهورها، ومجالس الشراب والغناء، وهذ الوصف يسير على نسق قصائد المشارقة ولا شئ يميزه عن أشعارهم سوى الكثرة (شوقي ضيف:1960م: 412)، ومثله بقية الأغراض.

ب. النسج على منوال المشارقة من حيث الخصائص:

ويتصل ذلك بالخصائص الشكلية والبنائية للقصيدة أو البيت، ويتضح جلياً في صياغة أشعارهم على شاكلة قصائد الشعراء العباسيين على وجه التحديد، إذْ يستعيرون منهم ألفاظهم ومعانيهم وأوزانهم، ومن أمثلة ذلك قول ابن دراج القسطلي يصف فرساً(ابن دراج القسطلي:1961م: 276) (من الكامل):

وذو غرّةٍ معروفة السبقِ في المدى وقد قرحَ التحجيلُ من حلقِ الشَّكلِ

أخذه من قول المتنبي:

وإنْ تكن محكمات الشكل تمنعني ظهور جري فلِي فِيهِنّ تِصْهَالِ.

وكذلك قوله (ابن دراج القسطلي:1961م: 355):

أُواصلُ آناء الأصائل بالضُّحى وزادي من جهدي وراحلتي رجلي

أخذه من قول المتنبي أيضاً (ابن بسّام: 1939م:91):

لا ناقتي تقبل الرَّدِف ولا بالسّوْطِ يوم الرِّهان أجهدها

شِراكها كورُها ومِشْفَرُها زمامُها والشسُوعُ مِقْودها.

ويقابلنا الشاعر الأندلسي الكبير ابن زيدون الذي يقتدي بنمط البحتري حين يقول (ابن زيدون:1994م: 299) (من البسيط):

بِنتُم وبنّا فما ابتلّت جوانِحنا شوقاً إليكم ولا جفّتْ مآقينا

على نمط البحتري في قوله:

يكادُ عاذِلُنا في الحُبِّ يغْرِينا فما لجاجَك في عذلِ المُحبينا.

ويقول أيضاً (ابن زيدون: 1994م: 106) (من البسيط):

فليت ذاك السواد الجون متصلٌ قد استعار سوادُ القلبِ والبصرِ

استعاره من قول أبي العلاء المعري (أبوالعلاء المعري:1957م: 56):

يودُّ أنّ ظلام الليل دام له وزِيد فيه سوادُ القلبِ والبصرِ.

وابن خفاجة الأندلسي كثير الإغارة على أشعار المشارقة، فنراه ينظم قصيديته التي مطلعها (ابن خفاجة:1961م: 328):

كَفاني شكوى أنْ أرى المجد شاكياً وحسبُ الرزايا أنْ تراني باكيا.

على نمط قصيدة المتنبي التي يقول فيها (المتنبي: 1983م: 441):

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسبَ المنايا أنْ يكُنّ أمانيا.

وقد أغار أيضاً على شعر الشريف الرضي، ومن ذلك قوله(ابن خفاجة:1961م: 312):

يا بَدَرُ تمِّ زارني منه الهلال وقد تلثَّم

أخذه لفظاً ومعنى من قول الشريف الرضي (الشريف الرضي:1976م: 283):

تلثّم مرتاباً بِفضلِ رِدائِه فقُلتُ هلالٌ بعدِ بدر تمام.

ومن ذلك أيضاً قوله(ابن خفاجة:1961م: 322):

كأنني بعدكم شمالٌ قد فارقت منكم يمينا

جميع الحقوق محفوظة © جامعة جدارا2020

فقد أخذه بلفظه ومعناه من قول ابن المعتز (ابن المعتز: 436):

وإنّي وإيّاكَ مثلُ اليدين ولكن لك الفضل أنت اليمين.

ونجد التقليد كذلك في ديوان لسان الدين بن الخطيب والذي صرّح بتقليده للشاعر أبي نواس فقال: «وقلت في أسلوب الحسن بن هاني (لسان الدين: 1989م: 47):

فقلنا هواء الشام غال نفوسنا فهل لك في شيئ يتنفس تنفيسا

فقال: أخمرٌ وهي شئ محرمٌ عليكم لبئس المسلمون إذن يبسا»

وقد استعار شعراء الأندلس كثيراً من المشارقة، ومن يتصفّح الذخيرة لابن بسام ونفح الطيب للمقرّي يجد ذلك واضحاً جلياً، فجاء التشابه في الوزن والقافية والروي وعلى هذه الشاكلة يصوغ شعراء الأندلس قصائدهم على صورة الشعر المشرقي عموماً والعبّاسي خصوصاً (شوقي ضيف:1960م: 435)، وقد قاد ذلك إلى عدم وضوح شخصية الشاعر الأندلسي، وقد لخّص الشاعر ابن شرف الأندلسي هذا التقليد بقوله (المقري:1995م:101):

ممّا يُزهِّدُ في أرضِ أندلسٍ أسماءُ معتضدٍ فيها ومعتمـــدِ

ألقابُ مملكةٍ في غير موضعها كالهرِّ يحكي انتفاخاً صولة الأسدِ.

ج. ألقاب الشعراء الأندلسيين بأسماء المشارقة:

ومن مظاهر التقليد في الشعر الأندلسي ألقاب فحول شعرائهم بألقاب شعرية مشرقية، منها عنترة الأندلس وهو لقب للشاعر أبو الأجرب جعونة الكلابي (ابن سعيد: 1964م:134)، ومؤمن بن سعيد الذي يلقب بدعبل الأندلس (ابن سعيد:1964م:134)، أسوة بالشاعر دعبل بن علي الخزاعي، وأبوبكر المخزومي يلقب ببشار الأندلس (ابن سعيد:1964م:133)، والشاعر ابن درّاج القسطلي وهو بربري الأصل، وكان في شعره كثير الدليل واللغة والخبر والنسب يلقب بمتنبي الأندلس (ابن بسام: 1939م: 275)، وذلك لتشابهه مع المتنبي من حيث رحلاته وكثرة مدائحه للملوك والأمراء في شعره (أحمد هيكل:1967م:307)، والشاعر ابن زيدون يلقب ببحتري الأندلس (أحمد هيكل:1967م: 326)، ونفس اللقب «بحتري الأندلس» كان يطلق على الشاعر عبدالله بن مجبر (ابن سعيد: 1973م:78)، والشاعر أبوالعبّاس أحمد بن عبدالله التطبيلي الأعمى كان يلقب بمعرّي الأندلس (ابن سعيد: 1973م، ص78)، ويلقبون الشاعر ابن اللبانة بسموءال الشعراء (ابن سعيد:1964م: 411)، وحمدة بنت زياد كانت تلقب بخنساء الأندلس (ابن سعيد:1964م:145)، والرصافي يلقب بابن زيدون الأندلس (ابن سعيد:1964م:343)، والشاعر الأندلسي المشهور بوصف الطبيعة ابن خفاجة الأندلسي كان يلقب بصنوبري الأندلس (المقري: 1995م: 35)، وغيرها من الألقاب التي أطلقها أهل الأندلس على شعرائهم أسوة بشعراء المشرق.

وإذا تأملنا هذه الألقاب الكثيرة نجد لها دلالة المشابهة إذْ أنّهم كانوا يقاربون بين شعرائهم وشعراء المشرق لأسباب تتصل بشعرهم ونمط إجادتهم، ولعل هذا هو الغالب في هذه الألقاب (الداية:1993م: 44).

ومن يستقرئ الشعر الأندلسي في أغراضه التقليدية يجد أنّ للتقليد عندهم أسباب تتصل بالشعراء ومجتمعهم، وهي:

أ. أسباب فنية: وهي تتصل بالشعراء الأندلسيين وذلك بإثبات مقدرتهم الفنية في تقليد شعراء المشرق من خلال المحاكاة لمشاهيرهم والإعجاب بطرائقهم لأنّهم يمثلون مدرسة تقليدية مشرقية أوجدت الحضارة الأندلسية (عبدالعزيز عتيق:1987م: 164)، مما جعلنا نلمس التقليد في آثار الشعراء الكبار أمثال المتنبي وأبي نواس، والبحتري، والمعري في جميع أغراضهم الشعرية.

ب. أسباب نفسية: وهي تتصل بالشعراء والمجتمع الأندلسي على السواء وتتمثل في عشق الأندلسيين للشعر المشرقي وشعرائه لأنّهم وجدوا فيه ما يسد حاجتهم النفسية في لهوهم وأفراحهم وأعيادهم ومناسباتهم التي واكبها الشعر فتغنى بها شعرائهم وعامتهم فوصفوا ومدحوا وتغزلوا ورثوا على منوال المشارقة.

ج. أسباب اجتماعية: وهي تتصل بالمجتمع الأندلسي، وهذه الأسباب لا تقل قيمة عن الأسباب السابقة فضلاً عن طبيعة الأندلس التي أغرتهم بشتى وسائل الراحة واللهو التي من ضمنها الشعر الذي ظلّ المجتمع الأندلسي يتغنّى به في المحافل وقصور الخلفاء والملوك والأُمراء وتشجيعهم لهذا الصنيع مما أوجد لنا نتاجاً شعرياً أندلسياً قلّدوا فيه أهل المشرق العربي.

المبحث الثاني

النَّثر

المتتبِّع للنثر الأندلسي في فنونه وخصائصه يلاحظ عليه مظاهر التقليد للنثر المشرقي خاصة في الرسائل الأدبية والمقامات، إذْ شأنه في ذلك شأن قسيمه الشعر فاستمد منه صفاته وخصائصه فعمد كتّابه على محاكاة الأدباء والكتّاب وأصحاب المقامات على منوال المشارقة بعد التلمذة عليهم الأمر الذي انعكس على طبيعة النثر الأندلسي، ومرد ذلك

جميع الحقوق محفوظة © جامعة جدارا 2020

أنّ النثر الأندلسي لم يظهر فيه كاتب كبير قبل القرن الرابع للهجرة ونلاحظ أيضاً أنّ الأندلسيين لم يستحدثوا لأنفسهم مذهباً جديداً في مجال النثر وفنونه غير أدب الرحلات فوقفوا عند المحاكاة فضلاً عن قِلة كتّاب النثر وقُصّاص المقامات.

وقد خلت الأمثال الأندلسية من التقليد، إذْ أنّها من اختصاص الأندلسيين لا تقليد فيها، فجاءت أندلسية في لهجتها ولغتها (إحسان عبّاس: 1969م: 65)، إذْ احتوت على أسماء مؤدبين أندلسيين قدماء، وكذلك حوت عبارات تدل دلالة قاطعة على أنّها وليدة البيئة الأندلسية.

وقد شمل التقليد في النثر الأندلسي الفنون التالية:

أولاً: الرسائل الأدبية:

تُعد الرسائل الأدبية من الفنون النثرية التي برز فيها الأندلسيين، ومن يتأمّل أغراضها وخصائصها البنائية والشكلية يجد أنّها تسير على خُطى قرينتها المشرقية، واقتفاء أثرها بتوظيف النتاج الأدبي المشرقي وثقافته المشارقة في رسائلهم (الشكعة: 1973م، ص572)، وتجلى ذلك من خلال توظيف القرآن الكريم، الحديث النبوي، القصص، الشعر، الحكم والأمثال.

1. توظيف القرآن الكريم: فقد عمل كتّاب الأندلس على تضمين رسائلهم القرآن الكريم، وهذا تقليد متّبع عند المشارقة في رسائلهم الأدبية، ومن صور تضمين القرآن الكريم عند الأندلسيين أخذ آية أو آيات قرآنية للاستشهاد بها على كلامه، ومن ذلك رسالة ابن شُهيد التي أورد فيها: «طال انتظارنا لك، وتقدمنا إليك، وسرت حتى انتهيت إلى دارٍ ذات أجوانٍ، قد غشيها دُخانٌ، كقطع الضان، تعبق منها صنانٍ، من زرنيخٍ وكبريت، وزنجفور فتذكرتُ «يوم تأتي السماءُ بدخانٍ مبين يغشى النّاس هذا عذابٌ أليم» سورة الدخان، الآيتان: 11-10» (ابن بسام:1939م، 1:221)، وبجانب تضمين النصوص القرآنية نجدهم يقتبسون من القرآن الكريم ألفاظه ومعانيه وأساليبه فضلاً عن تضمين القصص القرآني والأمثال التي يضربها القرآن الكريم.
2. تضمين الحديث النبوي الشريف: وذلك بتضمين ألفاظه ومعانيه وأسلوبه أو بنقل نصه كاملاً كرسالة أبي محمد عبدالله بن عبد البر النمري، عن علي بن مجاهد، وقد زفّ ابنته إلى المعتصم بن صمادح، فقال:»ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فيما قاله في مثل هذه قدوة يُقتدى بها، وسُنّة يُحتذى عليها، وقال عليه الصلاة والسلام «إنّما فاطمةُ منّي، فمن أكرمها فقد أكرمني، ومن أهانها فقد أهانني (ابن حجر: 105).
3. تضمين الشعر: يعد تضمين الشعر المشرقي في الرسائل الأدبية الأندلسية مظهر من مظاهر التقليد لأنّ المشارقة سبقوهم في هذا الصنيع فضمنوا رسائلهم من نتاجهم الشعري، ومن نماذج ذلك في النثر الأندلسي رسالة الشاعر ابن خفاجة والتي يقول فيه:»فعند أهل الفضل يوضع الفضل، وفي مغارسها تغرس النخلُ، لا زلت غمام نعمي ورُحمي، ولا نزلتُ إلّا بمنزل رعيا وسقيا (ابن بسام:1939م، 2:551)، والكاتب في رسالته أخذ الفاظ الشاعر ومعانيه وصوره وهي مستمدة من بيت الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سُلمى في قوله (زهير: 1994م: 44):

وهل ينبتُ الخطى إلّا وشيجهُ وتغرسُ إلّا في منابتها النّخلُ.

ومن ذلك أيضاً أنّ ابن زيدون قد أخذ عجز بيت عروة بن الورد وضمّنه في رسالته التي يقول فيها:»وسمعتُ المثل يقول: انصر أخاك ظالماً أو مظلوما، فالمرءُ كثير بأخيه، وإلّا أقلّ باستعمال الجد واستغراق الجهد (عروة: 1966م، 44):

فمبلغ نفسٍ عذرها مثل منجح

ولا ألوم امرئ إذا بلغ الغدر، ولكن لك بأخيك كله (ابن بسام:1939م، 1:414)».

وللأندلسيين رسائل كثيرة ديوانية وإخوانية وظفوا فيها أشعار المشارقة توظيفاً كلياً أو جزئياً حسب حاجتهم على نمط الكتّاب المشارقة في صنيعهم.

وبجانب ذلك تضمنت رسائلهم أشعار ذات أغراض تقليدية في الفخر والمدح والهجاء والحكمة لشعراء من المشرق وهذا يدل على إعجاب الكتّاب بالشعر المشرقي مؤكدين انتمائهم له من حيث المعاني والأفكار والأسلوب من خلال تناولهم وتضمينهم.

4. تضمين رسائلهم القصص والأمثال.

ثانياً: المقامات:

إنّ المقامات الأندلسية قد تأخّر ظهورها مقارنة بفنون النثر الأخرى، وأوّل مقامة أندلسية ظهرت على يد ابن شرف وابن شهيد وغيرهما في القرن الخامس الهجري وجاءت اتباعية تقليدية يظهر عليها الأثر المشرقي شأنها كسائر الفنون

جميع الحقوق محفوظة © جامعة جدارا2020

الأدبية الأخرى عند الأندلسيين.

وتتضح مظاهر التقليد في المقامات الأندلسية بصنيع ابن شرف في مقاماته التي حوت جانباً نقدياً للشعر، فتعرّض فيها للشعراء ومزاياهم في الجاهلية والإسلام على غرار الوصف والأسلوب الذي حوته المقامة القريضية لبديع الزمان الهمذاني (يوسف نور: 1979 م: 271)، وكان عنصر التقليد واضحاً في الوصف والعرض، ومثله السرقسطي في القرن السادس الهجري الذي أنشأ مقاماته بقرطبة يحاكي فيها الحريري في المقصد والعدد مع عدم تقديمها صورٌ من الحياة الأندلسية (يوسف نور: 1979م: 271)، فهي تقليد للمشارقة بكل ما يحمل التقليد من معنى، ويطالعنا لسان الدين بن الخطيب في مقاماته الوعظية يحاكي فيها ابن قتيبة في صنيعه وهكذا جاءت المقامات الأندلسية قليلة العدد ضعيفة الهدف والمقصد مقارنة بمقامات المشارقة.

ومن خلال استعراض الرسائل والمقامات الأندلسية نلاحظ أنّ كُتّاب الرسائل والمقامات قد استمدوا ثقافتهم وأفكارهم من كُتّاب المشارقة، ويتضح ذلك جلياً في التلمذة عليهم والإشادة بهم وإقتفاء آثارهم، بجانب تمكن الأندلسيون من علوم العربية من قراءات وروايات وفقه ونحو ولغة وشعر مما أعانهم على كتابه الرسائل الأدبية، وهذا ما قرره ابن حزم الأندلسي في فضائل أهل الأندلس بقوله:»فكان أهلها من التمكن في علوم القراءات والروايات وحفظ كثير من الفقه والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم (بوصالح وائل:1990م:22)، هذا فضلاً عن كثرة علماء الأندلس ونبوغهم في العلوم الدينية واللغوية والأدبية مما أهلهم لكتابة الرسائل والمقامات.

المبحث الثالث

التأليف

المتأمِّل للحياة الفكرية والأدبية عند الأندلسيين يرى اهتمامهم بالتراث المشرقي شرحاً وتأليفاً وترجمة لأعلام الشعر والنثر والفكر والثقافة والأدب(الداية:1993م:185-22)، ولم يقتصر تقليد الأندلسيين للمشارقة على مستوى الشعر والنثر، بل تعدى ذلك إلى الحياة العلمية من خلال التلمذة عليهم في المدارس النحوية والتأليف والشروح بأنواعها التعليمية العامة، والذوقية و الشروح الأدبية، وفي المؤلفات الجامعة والتراجم.

إنّ المتأمِّل لتاريخ التأليف عن الأندلس أوّل ما يلاحظه عليه تأخره نسبياً مقارنة بالتراث الأدبي لدى الأندلسيين جملة والمؤلفات التي كُتِبت بأقلام وفكر الأندلسيين كانت ترجع إلى القرن السادس الهجري، وأوّل كتاب خصّ الأندلس بالذكر والمضمون هو كتاب «القضاة بقرطبة (الشكعة: 2009م: 511)، لمؤلفه محمد بن حارن الخشني (ت 360هـ)، والخشني ليس أندلسياً بالميلاد وإنّما هو تونسي من القيروان دعاه إلى قرطبة الخليفة الأُموي الأندلسي المستنصر بن عبدالرحمن الناصر وطلب منه تأليف الكتاب المذكور، والذي يعد فاتحة التأليف عن تلك البقعة الجغرافية من الدولة العربية الإسلامية فتوالت المؤلفات في الأندلس وتاريخها من الأندلسيين أنفسهم، وأوّل كتاب يطالعنا في ذلك كتاب «تاريخ افتتاح الأندلس» لأبي بكر محمد القرطبي المعروف بابن القوطية (ت367هـ)، وهو أندلسي المولد والنشأة غير أنّ هناك من شكّ في أندلسيته (ابن الفرضي:476)، ثُم توالت الكتب في تراث الأندلس وتاريخها، فيطالعنا كتاب «العقد الفريد» لأحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي المتوفى 328هـ، والكتاب موسوعة أدبية فكرية تاريخية عن المشرق أرّخ مؤلفها في صفحات يسيرة عن ملوك بني أمية في الأندلس، ونجد كذلك كتاب «وصف الأندلس» لمؤلفه أحمد بن محمد الرازي المعروف بابن لقيط الكاتب (ت433هـ)، وغير ذلك من المؤلفات المتعددة التي خصّت الأندلس بالذكر من علماء أندلسيين المولد والنشأة.

والواقع أنّ الكتب التي تناولت تراث الأندلس وعاداتها وتقاليدها لم تكن قبل القرن الرابع للهجرة كما أسلفنا القول، وكذلك لم يكن كُتّابها أندلسيين مولداً ونشأة ومرد ذلك أنّ الحركة العلمية قد بدأت بالمشرق ونضجت هناك ثم انتقلت إلى الأندلس في فترة لم يكن فيها الجيل الأندلسي مستوعباً اللغة العربية وفنونها مما جعلهم يقلدون المشارقة في مؤلفاتهم، وتكمن مظاهر هذا التلقيد في الآتي:

أولاً: حذوهم للتأليف المشرقي:

وتتضح مظاهر هذا الحذو من خلال اختيارهم عناوين مؤلفاتهم وتطالعنا في ذلك كتب عدة تحاكي المشارقة في صنيعهم منها كتاب «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لأبي الحسن علي بن بسّام الشنتريني (ت: 542هـ)، ذلك الكتاب الذي عده بعض العلماء ذيلاً على كتاب «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (عمر الدقاق:249)، لأبي منصور الثعالبي النيسابوري حتّى في أسلوبه، و«المعرّب في حلي المغرب» لابن سعيد، و«نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب» للمقري، و«الإحاطة في أخبار غرناطة»، و«أفادة الوفادة» لابن الآبار، و«إيماض البرق في أدباء الشرق» لابن الآبار أيضاً، وغيرها من المؤلفات الأندلسية، كل تلك المؤلفات على نمط المشارقة في اختيار عناوينها ومادتها في بعض الأحيان.

جميع الحقوق محفوظة © جامعة جدارا2020

وبجانب العناوين نجد مؤلفات تعقد مادتها العلمية ومنهجها كذلك على منوال صنيع المشارقة في تأليفهم، أمثال كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه على شكل «عيون الأخبار» لابن قتيبة وقد علّق عليه الصاحب بن عبّاد بقوله «بضاعتنا ردت إلينا (ابن بسام: 1939م: 12:1)، ويصاغ كتاب «الحدائق» لابن فرج الجيّاني على شكل كتاب «الزهرة» للأصبهاني (ابن بسام: 1939م: 20:1)، وبالتالي فإنّ الحركة الأدبية في الأندلس صيغت على نمط وتقاليد الحركة الأدبية في المشرق (شوقي ضيف:1960م:416)، فالأندلسيون قد حبسوا أنفسهم داخل الإطار العام للأدب العربي المشرقي واتخذوه مثلهم العليا معتقدين أنّ الآثار الأدبية للمشارقة هي أصول الأدب وأركانه، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: «إنّ الأندلسيين يقولون إنّ أصول علم الأدب وأركانه أربعة دواوين وهي أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرِّد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي (ابن خلدون:1327هـ: 408)، ولا نجد بين هذه الأصول شيئاً لأهل الأندلس فهم أسسوا حياتهم العقلية والأدبية على أسس مشرقية اللغة والدين والثقافة.

ويحدثنا المقري في كتابه نفح الطيب عن علاقة هذا الكتاب بأهل الشام معدداً مناقبهم وذاكراً مبرراته فقال: «ولهذا الكتاب بالشام تعلُّق من وجوهٍ عديدة أولها أنّ الداعي لتأليفه أهل الشام أبقى الله مآثرهم، وثانيها أنّ الفاتحين للأندلس هم أهل الشام ذوو النجدة والشوكة والحمية، وثالثها أنّ غالب أهل الأندلس من عرب الشام الذين اتخذوا بالأندلس وطناً مُسْتأنفاً وحضرة جديدة، ورابعها أنّ غرناطة نزل بها أهل دمشق وسموها باسمها لشبهها بها في القصر والنهر والدوح والزهر والغوطة الفيحاء وهذه مناسبة قوية العُرى (المقري:1995م:7:1)، هكذا قصّ علينا المقري أشهر مؤرخي الأندلس تعلقه بالمشرق مما جعل كتابه شرقي الروح والعاطفة والمنهج واللسان.

ثانياً: الشروح:

وهي مظهر آخر من مظاهر التقليد الأندلسي لعلماء المشرق العربي، إذْ وقفوا على نتاجهم الأدبي من دواوين شعر وقصائد فشرحوه شروحاً تعليمية وأخرى ذوقية بناءً على أساليب علماء المدرسة الأندلسية التي هي مشرقية اللغة والمنهج والمعلم، وبالتالي ولم يأتوا فيه بجديد من حيث المنهج والتناول بل خدموا به اللغة وسهّلوا فهمه على الدراسين، وبالتالي لم يخرجوا بشروحهم عن نمط المشارقة، والشروح الأندلسية على مؤلفات المشارقة كثيرة نذكر منها:

1. شرح ابن السيِّد البطليوسي على سقط الزند للمعرِّي: والبطليوسي من كبار علماء الأندلس ومشهوري أعلامها، تخرّج في المدرسة الأندلسية، وذكر إنّه قام بهذا الشرح إجابة لطلب شخصية لم يصرِّح بذكر اسمها(ابن السيد البطليوسي:1945م:15:1)، وتضمن شرحه خصائص وسمات شعر أبي العلاء المعرِّي من حيث البناء والشكل شأنه في ذلك شأن أساتذته علماء المشرق.

2. شرح مشكل أبيات المتنبي لابن سيدة: وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن سيدة، عالم لغوي نحوي من مشاهير المدرسة الأندلسية، ولد سنة 398هـ، وكانت له ملاحظات لغوية وبلاغية على أبيات شعر أبي الطيب المتنبي التي تعرّض لها في شرحه.

3. شرح ابن هشام اللخمي الإشبيلي على مقصورة ابن دريد، وهي قصيدة لابن دريد ألّفها مدح فيها الشاه ابن مكيال ووالديه.

4. شرح الأعلم الشنتمرِّي على الشعراء الستة، والأعلم الشنتمرِّي هو أبوالحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي الشنتمرِّي الأندلسي، وهو من الشروح المهمة، وقدّم كتابه إلى المعتمد بن عبّاد تناول فيه دواوين ستة شعراء كبار هم: امرؤ القيس، والنابغة، وعلقمة، وزهير، وطرفة، وعنترة.

ثالثاً: إنشاء المدرسة النحوية الأندلسية:

ومثلما نشأت مدارس نحوية في البصرة والكوفة وبغداد فقد نشأت المدرسة الأندلسية على منهج المشارقة، وفي هذه المدرسة تتلمذ الأندلسيين على أيدي المشارقة، وبدأت تلك التلمذة عندما وفدت طبقة كبيرة من المؤدبين الذين كانوا يعلمون الشباب في قرطبة وغيرها من حواضر الأندلس مبادئ الكتابة والقراءة وذلك بمدارسة النصوص والأشعار، وكذلك رحيل جزء منهم إلى المشرق يتعلمون القراءات ويعودون إلى موطنهم فينقلون ما يتلقونه بجميع شاراتها كما يرسمون لهم من علوم ومؤلفات(شوقي ضيف: 1968م:288)، فظهر نحاة الأندلس أمثال جودي بن عثمان المروري(الزبيدي:1306هـ:278)، الذي رحل إلى المشرق وتتلمذ على الكِسائي وهو أوّل من أدخل كتب الكوفيين إلى الأندلس(الزبيدي:1306هـ:278)، وبعد ذلك اهتمّ علماء الأندلس بالنحو البصري، ثم وفد العلماء المشارقة إلى الأندلس أمثال أبي علي القالي الذي نزل إلى الأندلس سنة 330هـ (ياقوت الحموي:1936م:7:25) حاملاً معه ذخائر اللغة والنحو والشعر من المشرق، وبذلك ازدهرت الدروس النحوية على مذاهب البصريين والكوفيين والبغداديين فانتهج

جميع الحقوق محفوظة ©جامعة جدارا2020

الأندلسيون نهجهم في التأليف أمثال الأعلم الشنتمرِّي(ابن خلكان:1948م:2:465)، وشرحوا مؤلفاتهم فتشكلت الشخصية العلمية للأندلسيين على تلك الأسس التي ورثوها عن سلفهم المشارقة في مجال العلوم بأنواعها الأمر الذي جعلهم يقلدونهم.

وقد أنشأتْ هذه المدارس جيلاً من الأندلسيين في شتى المعارف والعلوم التي كانت سائدة في المشرق، فقرأوا على شيوخهم بعض المؤلفات، ورووا كتباً في النحو منها: الكتاب لسيبويه، والمقتضب للمبرِّد، والجُمل للزجّاجي، والكافي في النحو لابن النحّاس، والإيضاح لأبي علي القالي، والموجز لابن السرّاج، والواضح في النحو للزبيدي وغيرها.

وفي الأدب تناولوا كتب الأدب ودواوين الشعراء بالحفظ والشرح والنقد، مثل حماسة أبي تمام وأشعار هذيل وشرح المعلقات، وبعض أشعار الجاهليين كما فعل الأعلم الشنتمرِّي، وكل ذلك على نمط التعليم المشرقي.

وخلاصة الأمر إنّ الشخصية العلمية للأندلس لم تستقل عن الشخصية العربية في المشرق سواء أكانت في الشام أو العراق أو الحجاز فصبغ نتاجها العلمي بتلك الشخصية الأم في المشرق فاعتمدوا على ما أتاهم من المشارقة، وهذا ما قرره شوقي ضيف بقوله:»ومهما يكن فإنّ عرب الأندلس لم يفيدوا شيئاً واضحاً في حياتهم العلمية عن طريق الأندلس نفسها بل جُلّ ما أفادوه أتاهم من المشرق إذْ نقلوا الثروة العلمية المشرقية إلى بلادهم بكل ما فيها من فقه ودين ولغة ونحو وفلسفة وطب، وساعدهم في ذلك الخلفاء الأمويين (شوقي ضيف:1960م:317)».

ونخلص من تلك الدراسة بأنّ للتقليد في الأدب الأندلسي دلالات سببها أنّ الأندلس لم تتميّز في شخصيتها العلمية بسمات واضحة تفصلها عن المشرق، بل كانت تؤسس حركتها الفنية على الأصول المشرقية وذلك ما ذكره ابن بسّام بقوله:»إنّ أهل هذا الأفق أبوا إلّا متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة، حتّى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طنّ بأقصى الشام والعراق ذباب، لجثوا على هذا صنماً، وتلوا ذلك كتاباً محكماً (ابن بسام: 1939م:1:210)»، وبالتالي فإنّ دلالات هذا التقليد تمثلت في الآتي:

أ. قدوم علماء بني أمية إلى الأندلس خوفاً من بطش العبّاسيين.

ب. أغلب الشعراء في عصر الولاة كانوا من المشارقة والأمراء أنفسهم مما جعل الأندلسيين يقتدون بهم.

هـ. عدم نضج الشخصية الثقافية والاجتماعية للأندلسيين.

ح. تخريج جيل من الشعراء الأندلسيين على يد المشارقة (ابن الآبار:1963م:1:37).

ومن خلال الدراسة ندرك أنّ التقليد في الأدب الاندلسي نوعان: أحدهما صريح تلفّظ به الشعراء والكُتّاب في نتاجهم الأدبي ونتج عنه محاكاتهم للمشارقة في الشعر والتأليف والتعليم والثقافة، والآخر ضمني أملته عليهم الثقافة المشرقية فاقتدوا بها إعجاباً بآثار المشارقة الأمر الذي جعل الشخصية الأندلسية تتراوح بين النمطين المشرقي الوافد والأندلسي الأصيل فأنشئت أدباً هجيناً يُعبِّر عن حياة الأندلس وبيئتها بتأثيرات فنية مشرقية تباينت من شاعر إلى آخر ومن مؤلِّف إلى مؤلِّف.

ومن خلال الاستعراض ندرك أنّ للتقليد في الأدب الأندلسي دلالات تتمثل فيما يلي:

أ. اعتناق أهل الأندلس للدين الإسلامي: كان لاعتناق أهل الأندلس للدين الإسلامي أثراً كبيراً في تقليدهم للمشارقة، وساعد على ذلك المعاملة الحسنة التي تلقاها أصحاب الملل من اليهود والنصاري والوثنيين من المسلمين في حرية العبادة والمعتقد، وذلك حرروهم من جور القوط الذين ظلموهم عهود طويلة فجلب الإسلام لهم العدل والأمن في أرجاء بلادهم مما دفع بكثيرٍ من مسيحيي الأندلس لاعتناق الإسلام أفواجاً كبيرة لِما رأوه فيه من مُثُل إنسانية رفيعة توفر

ب. السعادة في الدارين الأمر الذي مهّد لظهور ملامح العروبة في بقاع الأندلس.

أ. تعرُّب الأندلس: بدأت ملامح العروبة تظهر على المجتمع الأندلسي حينما نزل العرب بلغتهم إليها، وعروبة الأندلس ارتبطت بالدين الإسلامي ارتباطاً وثيقاً، وكان طبيعيٌ أن يُقْبِل مَنْ أسلم مِن أهل الأندلس على تعلُّم اللغة العربية حتّى يفهموا مقاصد الدِّين الإسلامي ويُحْسِنوا أداء شعائرهم من صلاة وتلاوة وتجويد، فدفعوا بأبنائهم إلى تعلُّم اللغة العربية حتّى تعرّبوا تعرّباً كاملاً ديناً ولغةً (شوقي ضيف:1989م:128)، فأنتجوا الشعراء والكُتّاب والحفظة والخُطباء.

ب. ضعف اللغة اللاتينية وفقرها الثقافي والأدبي: على الرغم من التعرُّب شبه الكامل للمجتمع الأندلسي

جميع الحقوق محفوظة © جامعة جدارا 2020

إلّا أنّ هناك قِلّة من الأندلسيين ظلّت على مسيحيتها وثقافتها الأندلسية الأصيلة، مستخدمة لهجات عامية محلية أو لاتينية في تخاطبها اليومي حتّى أدركوا فقر هذه اللهجات مقارنة بالعربية مما نفّرهم عنها، فضلاً عن كونها لا تتصل بثقافة وجذور التراث الحضاري والديني الأندلسي، فأصبحت لغة مغلوبة فرجع أصحابها إلى محاكاة العربية، مما أدي إلى تشكيل الهُوية العربية والإسلامية للمجتمع الأندلسي، وبالتالي فإنّ العرب قد خلّفوا تراثاً عربياً فصيحاً ضخماً في مختلف المجالات العلمية والأدبية والفلسفية، فأوجدوا شعباً عربياً كبيراً (شوقي ضيف:1989م:136)، في الأندلس وُلِد وتربى على دينهم ولغتهم وثقافتهم فصاروا آبائه الروحيين، جُبِل على ثقافتهم وفكرهم وشعورهم ووجدانهم فقلدهم هذا الجيل في صنيعهم العلمي والثقافي والروحي.

ح. دور الحكام والعلماء: إنّ حكام وعلماء الأندلس كانوا عرباً جاءوا من المشرق بتربية وتقاليد أسلافهم بالمحافظة على النخوة العربية وصيانة اللغة وحفظ الدين، فاهتموا بالشعر ووجهوا أغراضه بناءً على سياساتهم ومقاصدهم كالمدح والفخر والغزل والتهنئة وغيرها من الأغراض التقليدية، بجانب إغراء الشعراء بالأموال، فتبارى الحكام في جمع الشعراء والعلماء وعقدوا المنتديات والمجالس، فكثُر الشعراء الوافدين من المشرق إذْ أتوا بخصائصهم الفنية وتقاليدهم المتبعة وأصبحوا القدوة في مضمار الشعر فظلّ حيّاً مزدهراً اشترك فيه العامة والخاصة من سكان الأندلس.

وعمل الحكّام على نشر وتنمية الثقافة العربية المشرقية في الأندلس وذلك باقتناء الكتب المشرقية وإضافتها إلى المكتبات العامة والخاصة، وبثّها في أيدي العلماء والطلاب، فضلاً عن التشجيع والإشارة بتأليف كتب تحاكي صنيع المشارقة في مؤلفاتهم (الداية:1993م:52)، وكذلك ضمّوا كبار شعراء المشارقة في بلاطهم فتأثر بهم المجتمع الأندلسي.

وبالتالي فإنّ الحكّام العرب أرادوا أنْ يجعلوا من الأندلس امتداداً للدولة العربية في المشرق من حيث الحضارة والعلوم والآداب والفنون والعادات والتقاليد لذلك جاء الأدب الأندلسي شعره ونثره ومؤلفاته ترجماناً لتلك الإرادة بهدف الانتماء إلى الأصل والرغبة في الارتباط به والإبقاء على ما ورثوه.

ض. إقبال الأندلسيين على الشعر والكتابة: وإذا كان الشعر ديوان العرب في عهدهم الأوّل، فإنّه كذلك ديوان أهل الأندلس صوّر حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم فتعلقوا به وأحبوا شعرائه وأجلّوهم وسمحوا لهم بتمثيل الأندلس على ألْسِنتهم، هذا ما أشار إليه المقري بقوله: «والشعرُ عندهم له حظٌ عظيم، وللشعراء من ملوكهم وجاهة، ولهم عليهم حظٌ ووظائف، والمجيدون منهم ينشدون في مجلس ملوكهم المختلفة، ويوقّع لهم بالصلات على أقدارهم، وإذا كان الشخص بالأندلس نحوياً أو شاعراً فإنّه يعظَّم في نفسه لا محالة (المقريك1995م:1:207)».

وكان للكاتب في الأندلس شخصية أكثر ظهوراً في المجتمع، وأعظم ألقاً، لحاجة الحكّام إليه، وأهل الاندلس كانوا يُجلّون الكتّاب وخاصة كُتّاب الرسائل منهم(المقريك 1995م :1 :207)».

جميع الحقوق محفوظة © جامعة جدارا2020

الخاتمة

الحمدللّٰه رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، محمد بن عبداللّٰه الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه الطاهرين، رضوان اللّٰه عنهم وعنّا أجمعين، وبعد:

بعد دراسة التقليد في الأدب الأندلسي من حيث مظاهره ودلالاته، توصلت الدِّراسة إلى النتائج والتوصيات التالية:

أولاً: النتائج:

أ. تجلت مظاهر التقليد في الأدب الأندلسي على مستوى الشعر والنثر والتأليف.

ب.ارتبط التقليد في الشعر الأندلسي لدى شعرائهم ومجتمعهم بأسباب فنية ونفسية واجتماعية.

هـ. للتقليد عند الأندلسيين دلالات تتمثل في تعرُّبهم وإسلامهم وسياسات حكامهم مما أدى إلى اتساع موجة التقليد في جميع مناحي الحياة التي ترجمهما أدبهم.

ح. تجلى تقليد شعراء الأندلس للمشارقة بالنسج على منوال قصائدهم وأغراضهم التقليدية وإطلاق ألقابهم على شعراء الأندلس.

ض. اهتمام علماء الأندلس بالتراث المشرقي شرحاً وتأليفاً وترجمةً لأعلامه.

غ. إنّ الكتّاب الأندلسيين ضمّنوا رسائلهم الأدبية نصوصاً من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والقصص القرآني والأمثال على نسق المشارقة في رسائلهم.

ك. حذو مؤلفاتهم على نمط مؤلفات المشارقة من أسماء المؤلفات وطبيعة المادة العلمية التي تناولتها.

و. إنشاء المدرسة النحوية الأندلسية مقلدة لمناهج المدراس المشرقية في البصرة والكوفة وبغداد.

ع. تأخُر كُتّاب النثر في الأندلس إلى ما بعد القرن الرابع للهجرة.

ظ. إنّ الحكّام العرب في الأندلس أرادوا أنْ يجعلوا منها امتداداً للدولة العربية في المشرق من حيث الحضارة والفنون والعلوم والآداب.

ثانياً: التوصيات: توصي الدراسة بتناول التجديد في الأدب الأندلسي من حيث مظاهره ودلالاته، كما توصي الدراسة أيضاً بتناول مظاهر التجديد في الأمثال الأندلسية.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. إحسان عبّاس (دكتور): تاريخ الأدب الأندلسي — عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة — بيروت، الطبعة الثانية 1969م.
3. أحمد هيكل (دكتور): تاريخ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف — القاهرة، الطبعة الثانية 1967م.
4. ابن الآبار: أبوعبداللّٰه محمد بن عبداللّٰه بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيراء في أشعار الأمراء، تحقيق: د. حسين مؤنس، دار التأليف والترجمة والنشر — دمشق، الطبعة الأولى 1963م.
5. ابن بسام، أبو الحسن علي بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ت: إحسان عبّاس، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى 1939م.
6. ابن السيد البطليوسي: أبومحمد عبداللّٰه بن محمد بن السيد البطليوسي، شرح ديوان سقط الزند للمعري، دار الكتب المصرية — القاهرة، الطبعة الأولى 1945م.
7. بوصالح وائل: جهود الحكم المستنصر في تطوير الحركة العلمية في الأندلس، دار المغاربة للنشر — تونس، الطبعة الأولى 1990م.
8. ابن حجر: علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر — بيروت، (د. ت).
9. حسن أحمد النوش (دكتور): التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، دار الجيل — بيروت، الطبعة الأولى 1412ه — 1992م.
10. ابن خفاجة: أبو اسحق إبراهيم بن خفاجة، ديوانه، دار صادر — بيروت، الطبعة الثانية 1961م.
11. ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المكتبة المشرقية - القاهرة، الطبعة الأولى 1327هـ.
12. ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ثماني مجلدات، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة النهضة مصر 1948م.
13. ابن دراج القسطلي: هو أبوعمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلي، ديوانه، تحقيق: د. محمد علي مكي، المكتب

جميع الحقوق محفوظة © جامعة جدارا 2020

الإسلامي — دمشق، الطبعة الأولى 1381هـ - 1961م.

14. الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، المطبعة الخيرية — القاهرة، الطبعة الأولى 1306هـ.

15. ابن زيدون: أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن زيدون، ديوانه، تحقيق: د. يوسف فرحات، دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة الثانية 1415هـ - 1994م.

16. ابن سعيد، علي بن موسى بن سعيد: رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق: النعمان عبدالمتعاطي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية — دمشق، الطبعة الثانية 1973م.

17. ابن سعيد، علي بن موسى بن سعيد: المعرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف — القاهرة، الطبعة الثانية 1964م.

18. الشريف الرضي: أبوالحسن محمد بن أحمد الحسين، ديوانه، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار الثقافة — بغداد، الطبعة الأولى 1976م.

19. الشكعة» مصطفى محمد الشكعة (دكتور): الأدب الأندلسي «موضوعاته وفنونه»، دار العلم للملايين — بيروت، الطبعة السابعة 1973م.

20. الشكعة: مصطفى محمد الشكعة (دكتور): مناهج التاليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين — بيوت، الطبعة التاسعة عشرة 2009م.

21. شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، مكتبة الحياة — بيروت، (د. ت). شرح ديوان زهير لأبي العباس أحمد بن يحي ثعلب، دار الكتب العلميّة، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى 1944م.

22. عروة بن الورد العبسي: ديوانه، مطبعة الحرية — دمشق، الطبعة الأولى 1966م.

23. شوقي ضيف (دكتور): تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات (الأندلس)، دار المعارف — القاهرة، الطبعة الرابعة 1989م.

24. شوقي ضيف (دكتور): الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف — القاهرة، الطبعة العاشرة 1960م.

25. شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف — القاهرة، الطبعة السابعة 1968م.

26. عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة — القاهرة، الطبعة الأولى 1987م.

27. أبو العلاء المعرِّي: ديوانه سقط الزند، دار صادر — بيروت، الطبعة الأولى 1376هـ ـــ 1957م.

28. عناني: محمد زكريا عنني (دكتور): تاريخ الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية — القاهرة، الطبعة الأولى 1999م.

29. ابن الفرضي: أبوالوليد عبدالله بن محمد الأزدي: تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة — القاهرة (د.ت).

30. القلقشندي: الشيخ أبي العبّاس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، أربعة عشر جزءً، طبعة ونشر دار الكتب المصريّة — القاهرة 1927م.

31. ابن القوطية، أبو بكر بن القوطية:تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبدالله أنيس الطبّاع، دار النشر للجامعيين — بيروت، الطبعة الأولى 1975م.

32. لسان الدين بن الخطيب السليماني: ديوانه، ت: د. محمد مفتاح، دار الثقافة — بيروت، الطبعة الأولى 1409هـ - 1989م.

33. المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي المنبي، ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر — بيروت، الطبعة الثالثة 1403هـ - 1983م.

34. المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة الرابعة 1995م.

35. محمد رضوان الداية (دكتور): تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة الثانية 1414ه- 1993م.

36. ياقوت الحموي: شهاب الدين أبوعبد الله الرومي الحموي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: أحمد فريد رفاعي، مطبعة الحلبي — مصر 1936م.

37. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبوعبد الله الرومي الحمو: معجم البلدان، دار صادر — بيروت، الطبعة الثالثة 1397ه — 1993م.

38. يوسف نور عوض (دكتور): فن المقامات بين المشرق والأندلس، دار القلم — بيروت، الطبعة الأولى 1979م.

39. Antonio Ballesteros; de Papuan .10 pp.

جميع الحقوق محفوظة © جامعة جدارا2020